د. يارا أبو شعر

ضمن فعاليات أيام مجلس التعاون خصصت الندوة السياسية جلسة للحديث حول دور مجلس التعاون في خدمة المصالح المشتركة وتعزيز أمن المنطقة واستقرارها .

أدار الجلسة الدكتور نظام الشافعي من قسم العلوم الإنسانية في جامعة قطر، وشارك فيها كلٌ من الدكتور مصطفى عقيل من قسم العلوم الإنسانية في جامعة قطر، والدكتورة إيتسام الكتبي، رئيس مركز الإمارات للسياسات، والدكتور خالد الجابر، رئيس تحرير صحيفة البنسولا، والدكتور عبدالله الشايجي من قسم العلوم السياسية في جامعة الكويت. وركّزت الجلسة على محورين: «الاستقرار الوطني والنمو الاقتصادي في دول مجلس التعاون» و«دور مجلس التعاون في خدمة المصالح المشتركة لدوّله وتعزيز أمن المنطقة واستقرارها».

أكدوا أن الخليج يعيش مرحلة حافلة بالتحديات.. أكاديميون:

المتحدثون في الجلسة

عاصفة الحزم أثبتت قدرة دول الخليج على ملء الفراغ ورسم خريطتها بنفسها

من جهته أكّد الدكتور مصطفى عقيل من قسم العلوم الإنسانية في جامعة قطر ضرورة زيادة التنسيق في المواقف السياسية بين دول مجلس التعاون، لافتاً إلى أنّ الأحداث الراهنة في العالم تُحتّم على أصحاب القرار وضع إستراتيجيات «تحمي الخليج من الانزلاق في أحضان الدول الكبرى».

وقال إنّ على دول الخليج «أنْ تستفيد من المقوّمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تتميّز بها إيران وأنْ تجد وسيلة مقبولة للطرفين العربي والإيراني بحيث تكون إيران عمقاً إستراتيجياً للعرب»، وإنّ على إيران في المقابل «أنْ تراعي مصالح المنطقة ومصالح جيرانها ومصالحها أيضاً بعيداً عن المذهب والعرق واللغة، وأن تعمل على حلّ المشاكل بالطرق السلمية والأعراف الدولية دون اللجوء إلى القوة وإشعال الفتن»، مؤكّداً أنّ «زمن القوة والغطرسة قد انتهى ليبقى التعامل بالحكمة والقانون».

وبيّن عقيل إلى أنّ منطقة الخليج العربي من المناطق الإستراتيجية المهمة، لافتاً إلى أنّها لا تكتسب أهمّيتها من كونها مصدراً كبيراً للطاقة العالمية فحسب، وإنّما من موقعها الجغرافي الذي يجعلها المنفذ الرئيس إلى الشرق والبوابة الوحيدة إلى القارة الآسيوية بأكملها. في حين رأى عقيل هذا الدور الريادي لمنطقة الخليج قد ضعف على مرّ السنين التي مضت، عازياً ذلك إلى عدم وجود تفاهم وتنسيق فيما بين دول الخليج.

وأشار عقيل إلى أنّ أهمّية منطقة الخليج لم ترتبط باكتشاف النفط ولم تكن محصورة به، بل كان للخليجيين دورٌ باررٌ في التجارة العالمية وكانوا همزة الوصل بين الشرق والغرب، قائلاً إنّ جميع تلك الأسباب جعلت من منطقة الخليج مقصداً للاستعمار الغربي بغرض السيطرة على طرق التجارة.

وقال عقيل إنّ الأحداث الجارية في العالم، والتي ستجري بشكل أكبر غمّاً تُحتّم على أصحاب القرار وضع إستراتيجيات تحمي الخليج من الانزلاق في أحضان الدول الكبرى.

◄ مناخ الثقة

وأشار عقيل إلى أنّ «من المهم الثقة بالقوى الإقليمية الكبرى، مثل المملكة العربية السعودية، والعراق، وإيران، والتعاون معها للحفاظ على التعاون الاستراتيجي والعسكري»، مُضيفاً أنّه لا بُدّ من إعادة العراق إلى الصف الخليجي العربي باعتباره قوةً إقليمية ودولية مهمّة لا يُمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها.

ورأى عقيل أنّ «إيران دولة خليجية لا يُمكن إنكارها، حيث تحتلّ الجزء الأكبر من حوض الخليج العربي، وقد عاشت معه منذ آلاف السنين وأسهمت في إثراء الحضارتين العربية والإسلامية. ولذلك فإنّ على مجلس التعاون لدول الخليج إيجاد وسيلة مقبولة للطرفين العربي والإيراني بحيث تكون إيران عمقاً إستراتيجياً للعرب، والعكس. إنّ إيران دولة إقليمية كبيرة تمتلك العديد من المقوّمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتمتلك ثروات هائلة من المواد الخام والخبرات والكوادر البشرية، وعلى دول مجلس التعاون الاستفادة من تلك المميّزات».

وأضاف أنّ على إيران أنْ تراعي مصالح المنطقة ومصالح جيرانها ومصالحها أيضاً بعيداً عن المذهب والعرق واللغة، وأنّ عليها أن تعمل على حلّ المشاكل بالطرق السلمية والأعراف الدولية دون اللجوء إلى القوة وإشعال الفتن.

وشدّد على ضرورة طرح مبادرات جديدة لتفعيل دور جامعة الدول العربية بما يجعلها قادرةً على تبنّي خطوات جريئة. وقال إنّ على جامعة الدول العربية أنْ تقوم بمبادرات إستراتيجية واقتصادية على غرار الاتحاد الأوروبي والمنظمات الدولية.

ولفت الدكتور عقيل إلى أنّ تعامل دول مجلس التعاون الخليجي مع العالم الخارجي يجب أن يتّسم بالشفافية والوضوح، مؤكداً ضرورة زيادة التنسيق في المواقف السياسية ما بين هذه الدول.

فراغ القوة

وقدم الدكتور خالد الجابر مداخلة حول الخليج والبحث عن عقيدة سياسية جديدة وموازين القوى الدولية والإقليمية موضحا أنه لا يمكن فهم المتغيرات الأخيرة وأخرها « عملية «عاصفة الحزم» ، إلا في سياق نظرية فراغ القوة، ومحاولة العديد من القوى الدولية والإقليمية ملء فراغ القوة المزعوم.

وقال إن النظرية تعود إلى الخمسينات من القرن الماضي في أعقاب انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربي، وتبني الولايات المتحدة النظرية لمحاولة ملء فراغ القوة، ومحاولة الاتحاد السوفييتي الوصول إلى المياه الدافئة.

لكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول والحربين اللتين خاضتهما الولايات المتحدة ضد أفغانستان والعراق غيّرتا آليات القوة في الشرق الأوسط، وقلّلتا من قدرة الولايات المتحدة على الحفاظ على السيطرة الكاملة على الأحداث في المنطقة؛ حيث أدى الفشل الأميركي في تحقيق نصر عسكري أو أخلاقي في العراق إلى تعبيد الطريق أمام الكيزرين لتحدي سيطرة واشنطن في العالم العربي.

وكذلك فإن تصريحات الرئيس أوباما المستمرة عن عزم الولايات المتحدة على التوجه لآسيا، والتزاماته المهزتة بالسلام والاستقرار في الشرق الأوسط، شجّعت العديد من الدول الطموحة على ملء الفراغ السياسي والعسكري الذي يفرضه الواقع الجديد.

وقال إنه إزاء تغلغل كل من الصين وروسيا في المنطقة من زوايا مختلفة؛ ولعبت إيران بالورقة الطائفية، بينما لعبت روسيا بالورقة العسكرية، واستخدمت الصين الورقة الاقتصادية، فإن المفارقة أن هذه السياسة في إيران لم تتغير مع سقوط الشاه بقيام الثورة الإسلامية، بل زادت عليها هدف تصدير الثورة إلى دول المنطقة وكل الدول العربية والإسلامية الأخرى، وبقي العنصر القومي الفارسي أحد أهم العوامل التي تحكم السلوك السياسي الإيراني.

وقال إنه بالمقابل الدول العربية تعاني فراغ قوة، وحالة من التفكك الانقسام وخصوصاً بعد ثورات ما يسمى «الربيع العربي»، وكذلك استغلال الانسحاب الأميركي من العراق وغيره، وتراجع مفهوم الأمن القومي العربي، وغياب الإرادة العربية . وهذه المدركات هي التي تفسر لنا كثيراً من سياسات إيران وتحكمها في أكثر من ملف من الملفات العربية في سوريا ولبنان والعراق واليمن باعتبار أن الحركة الحوثية هي إحدى أدوات السياسة الإيرانية في المنطقة، ففي لبنان تساند طهران حزب الله للوقوف حجر عثرة أمام الدولة؛ وفي العراق كانت تتلاعب بنوري المالكي والأحزاب الشيعية الأخرى كي تغير الخريطة السياسية في بلاد الرافدين. مما أدى إلى شحن طائفي وتوتر مذهبي.

وفي سوريا تسببت إيران في الفوضى حينما أرسلت العديد من المليشيات الطائفية للقتال إلى جانب الطائفة العلوية، وليس للحفاظ على الدولة السورية والانتقال الديمقراطي السلمي فيها.

وفي اليمن تساند إيران الحوثيين، وبدأت تشجعهم على تشكيل حكومة ظل لتحدي شرعية هادي، وتقسيم البلاد إلى مناطق متحاربة، وكذلك فتحت إيران قنوات سياسية مع المؤتمر الشعبي العام وجماعات أخرى في البلاد لزعزعة اليمن .

وأكد أن عملية عاصفة الحزم جاءت استجابة ضرورية للسياسات العدوانية لإيران وحلفائها في المنطقة؛ حيث تحتاج إيران إلى اليمن لتقوية موقفها التفاوضي مع الغرب والعرب؛ إذ إن إيران تحتاج إلى أن تخبر محاوريها بأن لها سلطة على مضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس.

الجابر: الملك سلمان يسعى لاستعادة دور المملكة كقوة إقليمية مؤثرة تحفظ التوازن بالمنطقة

عقيل: الشفافية والوضوح ومناخ الثقة ضرورة لاستقرار المنطقة

الشايجي: العاصفة بداية التحرك دون الضوء الأخضر الأميركي

الكتبي: دول التعاون بحاجة إلى أجندة عمل واضحة لتحقيق التكامل الخليجي

الجابر والشايجي والكتبي وياعبود قبيل الجلسة (تصوير ابراهيم كوتي)

وكذلك تميل إيران إلى إقناع الغرب باهميتها في محاربة القاعدة وداعش والقرصنة في القرن الإفريقي وحركة الشباب في الصومال. واليمن يزود إيران بقدر كبير من الأدوات المطلوبة لطرح نفسها كقوة إقليمية في الشرق الأوسط أمام الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والصين.

◄ العرب قادرون

وقال ان الطريقة التي انطلقت بها «عاصفة الحزم»، وردود الأفعال الشعبية والدولية اثبتت أن العرب قادرون على رسم خريطة وجودهم على الأرض، فعلى المستوى الشعبي تبين حجم الالتفاف وتماسك الجبهة الداخلية وتأييدها لقادتها، أما على المستوى الدولي فقد أفرزت هذه العملية مجموعة من الدول المؤيدة لها ذات الشان المشترك، هذه الدول لو تحالفت فيما بينها لاصبحت قوة ورقما صعبا على الساحة العالمية، فهي بين دولة نووية

والعدد باكستان، وبين أخرى ذات اقتصاد وقوة عسكرية وصناعية متطورة كتركيا. لولا هذه «العاصفة»، لما كانت قمة شرم الشيخ مختلفة عن قمم سبقتها، ولما ارتفع منسوب الحديث عن الأمن القومي العربي، والتفكير الجاد في مسالة خلق «قوة عربية مشتركة» دائمة.

وأكد أن نجاح المملكة العربية السعودية في تشكيل تحالف عسكري «عشري» خلال فترة زمنية قياسية، جاء كمؤشر على أن الرياض في عهد الملك سلمان تسعى لأن تستعيد مكانتها كقوة إقليمية مؤثرة تحفظ معادلة التوازن في المنطقة، وذلك بعد أن خُسم أمر دخول جيل أحفاد الملك المؤسس عبد العزيز إلى منظومة الحكم، وتم بالفعل تطعيم القيادة السعودية بوجوه شابة.

◄ استقلالية القرار

من جهته، أكّد الدكتور عبدالله الشايجي من قسم العلوم السياسية في جامعة الكويت أنّ «عاصفة الحزم» قلبتْ الموازين وصحّحت الخلل في توازن القوى، وزادتْ من استقلالية القرار الخليجي.

وقال إنّها بداية التحرّك بدون «الضوء الأخضر الأميركي»، بحيث يكون بإمكان دول مجلس التعاون أنْ تأخذ بزمام المبادرة.

وأكّد أهمّية أنْ تُوجّد دول مجلس التعاون الخليجي مواقفها وتُعزّز التنسيق الأمني والدفاعي والعسكري فيما بينها، مشيراً إلى صعود وتميّز دور مجلس التعاون، بالقول: «دول الخليج هي التي رفعت غطاء الشرعية عن نظام القذافي، وخلال الأربع سنوات الماضية كانت لها ثلاث مشاركات عسكرية: مع حلف شمال الأطلسي في ليبيا، وضد داعش في العراق وسوريا، وفي اليمن الآن».

وقال: «بالرغم من أنّ إيران مُمسكة بذكاء وحنكة شديدين بالعديد من الملفات الهامة، لكنّ اليوم انقلبتْ اللعبة، وفشلت إيران في الدخول إلى تكريت واستنجدت بالطائرات الأمريكية عبر حليفهم العبادي».

ورأى الشايجي أنّ مجلس التعاون يعيش مرحلةً حافلةً بالتحدّيات المفصلية، ومن هذه التحدّيات «تداعيات الربيع العربي، والفرز الطائفي البغيض بين السنة والشيعة الذي غذّته إيران، والصمت الأميركي عن سياسات المالكي الطائفية وسياسات بشار الأسد، والتدخل الإيراني والميليشيات الموالية له في العراق وسوريا. هناك حروب أهلية، وحروب بالوكالة، وهناك حضور للقاعدة وفروعها.. كلّ ذلك وضعنا اليوم في وضع خطير للغاية».

وأضاف الشايجي أنّ الدور الأميركي ساهمَ في تأزّم الأوضاع من خلال سنة

أوباما التي تجسّدتْ في «القيادة من الخلف»، والتردّد، والانكفاء، حيث أنّ تراجع الدور الأميركي قد سمح لإيران بالتمدّد والاستفادة من الفراغ الاستراتيجي.

وقال: «هناك غياب توازن قوى إقليمية منذ إسقاط نظام صدّام حسين الذي أدّى إلى جميع هذه التداعيات التي نراها، لأنّ صدّام حسين مع كلّ مساوئه ودكتاتوريّته وقمعه إلا أنّه كان يُشكّل توازن الرعب مع إيران. وأيّ إقليم يفتقد لتوازن الرعب فإنّه سيُواجه مشاكل وصراعات وحروبا، وهذا ما نراه اليوم. لقد كان 90 % من اهتمام إيران منصباً على كيفية التعامل مع صدّام حسين، أما الآن فهي فهي حرة للقيام بما يحلو لها متى وحيثما شاءت».

وقال الشايجي إنّ النظام العربي مُنهَك، والدول العربية في تراجع، مؤكّداً أنّ الدور الإيراني أصبح قوّة إيران بل ضعف الطرف العربي، وأضاف: «إيران دولة ضعيفة تتزف من الداخل، ولهذا السبب ركضت طائعة للمفاوضات حول النووي، بسبب العقوبات القاسية عليها».

هناك قلق خليجي من الهيمنة الإيرانية ومن الصفقة الكبرى، ومن السماح لإيران بالتمدّد ومقايضة النووي بمشروع يُعزّز الدور الإيراني في المنطقة

وأوضح الشايجي أنّ استراتيجية الرئيس الأمريكي باراك أوباما تكمُن في تحقيق معادلة معقّدة: «التوصّل لاتفاق نووي نهائي مع إيران، وفي نفس الوقت طمأنة الحلفاء في الخليج من أنّ الاتفاق من مصلحتهم وأنّ إيران لن تكون لها القدرة على الاستقرار بالمنطقة».

ولفتَ الشايجي إلى أنّه من المفارقة أنّ « أمريكا تقول في الدراسات التي تُصدرها كلّ سنة حول أنماط الإرهاب، إنّ فرع القاعدة الموجود في اليمن هو أخطر فرع لها وتجب مواجهته بشتّى الطرق، في حين يتجلّى التخبّط الأمريكي حيث تُغلق الولايات المتحدة سفارتها في صنعاء، وتسحب قواتها الخاصة المسؤولة عن عمليات (الطائرات بدون طيار) في جنوب اليمن، تاركةً اليمن وحده»، متسائلاً: «لماذا لا تُصنّف امريكا الميليشيات الحوثية كمنظمة إرهابية؟ لماذا لا تصنّف إيران (وحزب الله) ضمن الأطراف التي تُشكّل تهديداً للأمن القومي الأمريكي؟ لماذا لا تُصنّف الميليشيات الطائفية الشيعية التي تقتل السنة الآن في العراق؟»

ونوّه الشايجي إلى أنّ دول مجلس التعاون الخليجي قد نجحت في التعامل مع الفرز المذهبي الطائفي السني الشيعي الخطير.

وقال: «إنّ تصريحات محمد علي الجعفري رئيس الحرس الثوري الإيراني عندما هدّد السعودية اتهمها بالخيانة وبأنّها ستنهار وشبّهها بإسرائيل، وتصريحات حسين عبد اللهيان مساعد وزير الخارجية الإيراني عندما حذّر السعودية بأنّها ستدفع ثمناً لما تقوم به ولعدم سماحها لطائرات تحمل مساعدات لليمن بدخول المجال الجوي اليمني.. هذه التصريحات ضدّ السعودية تنبع من الألم الذي تشعر به إيران».

◄ أجندة عمل

من جانبها، أكّدت الدكتورة ايتسام الكتبي، رئيس مركز الإمارات للسياسات أنّ التحدّيات التي يواجهها مجلس التعاون تفرض عليه أن يُطوّر استراتيجياته، ويُبلور أجندة عمل واضحة ودقيقة خلالَ المرحلة المقبلة من أجل المضي في تحقيق التكامل الخليجي.

وشدّدت الكتبي على أنّ التوافق الأمريكي – الإيراني حيال المشروع النووي يجب أنْ لا يكون على حساب أمن دول الخليج، قائلة: «إنّ من حق دول الخليج أنْ تحصل على ضمانات، كأنْ يُسمح لها بتطوير سلاح نووي أو أنْ تكون هناك مظلة نووية تحميها في حال حاولت إيران أو إسرائيل الاعتداء عليها « مُحذّرةً من أنّ «إيران تهدف إلى خلق مركزية شيعية في المنطقة العربية، والتمدّد وفرض النفوذ والسيطرة».

كما حذّرت الكتبي من خطورة التحدّيات التي تواجهها دول مجلس التعاون، وأبرزها التهديد النووي، والتفتّت والفراغ الأمني الذي يعيشه العالم العربي، وبروز ظاهرة الإرهاب بشكلٍ مختلف تُعزّز من قوّته المعرفة التكنولوجية.